الثورة ALTHAWRAH
Friday : 28 The Al Qada1434 - 4 October - Jssue No. 17851

قراءة في إرشيف الذاكرة اليمنية..

سنوات الغليان.. أحداث زلزلت عرش الإمامة وجعلت مستحيل الثورة ممكناً

الحلقة الثانية

تحقيق/
وليد المشيرعي - حسن شرف الدين

• عدد من صحيفة النصر الذي تضمن بيان الإمام إزاء مؤتمر لندن -(من أرشيف المركز الوطني للوثائق)..وفي الإطار عدد من سلاطين المحميات الجنوبيّة

تذمر واحتجاج

في العامين الأخيرين من عمر الإمامة بلغت حالة التذمر الشعبي ذروتها إزاء الأوضاع المضطربة واستشراء الفساد والظلم والانفلات الإداري وضعف القضاء، وكمؤشر لهذا التذمر وبوادر التمرد نشرت الصحف الصادرة في تلك الفترة بتعز وعدن العديد من المقالات والأخبار التي حملت سطورها إنذارات مبطنة للإمام باقتراب موعد الانفجار الشعبي ومن بين تلك المقالات ما نشرته صحيفة فتاة الجزيرة بتاريخ 4 أكتوبر 1961م تحت عنوان:

(خطاب مفتوح إلى جلالة إمام اليمن من أبناء رداع)

- يقول نصه :

جلالة الإمام أحمد ملك اليمن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يا صاحب الجلالة نرفع شكوانا وتظلمنا بما نلاقيه من جور وتعسف نحن أبناء البلاد الرداعية خاصة من قبل المشايخ الذين اتخذوا الناس سخريا، يعتقدون أن الرعية خلقوا في محيتهم بل وعبيد لهم حتى أن الشيخ يكون في البلاد عبارة عن جبار عنيد فهو صاحب اليد العليا بكل شيء فتراه يقطع ويمنع ويحكم وينفذ ويحبس ويقيد بالقيود التي لا توجد في سجن الحكومة وفي أي حادثة مهما كانت تفاهتها فالمشايخ أبطالها وأسودها المفترسة إلا وأن الرعوي المسكين يكدح ويزرع ويتعب ويرهق ويزكي عند الحصاد بما أمر الله ورسوله ولكن المشايخ هم أهل الخيرة إن شاءوا زكوا وان ما لم يؤاخذوا، إن المشايخ لا يزكون لا في فطرة ولا يغرمون إغراما محلية ولا يعيشون الدولة ولا يرحمون صغيراً.

همهم البطش والنهب برعاياهم متغطرسين بكبريائهم وأبهاتهم على الضعفاء والمساكين متمسكين بعصبية جاهلية بدعوى أنهم كبارات والرعايا عبيد لهم، ورغم أن المشايخ يتناولون عشر العشر بمثابة العمال من بيت المال فلا يقنعهم هذا ذلك لأن نفوسهم الملوثة بأكل السحت ومال الحرام تجعلهم يفرضون الضرائب على الرعايا منها مصاريف الشيخ توزع في كل سنة خمسة وستة آلاف ريال بل أزيد من ذلك وإلى ذلك ثلاثة أعياد رجب والفطر والأضحى مفروض على كل قرية تعود الشيخ بكمية من الدراهم وتفرق هذه المبالغ غرامة الخلاف، وإذا تزوج أي فرد لازم عليه دفع الجباية للشيخ وكذلك من عاد إلى وطنه من الخارج مفروض عليه قهوة الشيخ بمبلغ من الدراهم ولهم فضائح كثيرة أيضاً وتوجد في بيوتهم.

وكل هذا والعامل والحاكم يتغاضون عن هذه الأمور لأن عادة المشايخ إذا علموا أن عاملا أو حاكما تعين بالبلاد الرداعية يقابلوه إلى مسافة نصف نهار ليحظوا عنده فيحيونه ويركبونه على خيلهم وينزل عندهم ضيفاً حتى أن هذه الضيفة تنزل عليه كسحر فيوليهم مقاليد الحكم بعدها ويجاملهم فيما يقولون لواحد له مظلمة عند الشيخ لا يجد من ينصفه وكم من مظلمة يتجرعها الضعفاء من قبل المشايخ وهيهات من ينصفهم ولكن الإنصاف بيننا وبينهم يوم الإنصاف لدى أحكم الحاكمين إلا إذا أنصفتم لنا فقد برأت ذمتكم لأنكم المسئولون وكل راع مسئول عن رعيته ولا نخاطب في ظلمنا أحداً غيركم لقد زاد العبث بنا والاستبداد والاستهتار من المشايخ فكم من حقوق تذهب سدى وكرامات تهدر لا تردعهم عدالة ولا تؤنبهم إنسانية.

وما جهاد خولان منكم ببعيد لقد افترسوا رعاياهم كما يفترس الوحوش الغنم صدر أمرك الشريف على رداع بالجهاد على خولان فقالت الرعية على العين والرأس.. وأما المشايخ يا للعجب لقد طبلوا وزمروا ومالوا لا لينصروا الحق ولكنهم تحصلوا على ضالتهم المنشودة اتفقوا سريا مع العامل والمشايخ لاستعمال وسائل الدجل والاحتيال على الرعية.

وكنموذج لحالة التذمر والاحتجاج التي تتصاعد في أنحاء البلاد أوردت الصحيفة ذاتها بتاريخ 11 أكتوبر 1961م العدد (1457) خبراً عن (مظاهرة في اليمن) تقول فيه:

تجمهر أمام قصر النيابة لأول مرة في تاريخ اليمن..

تجمهر في الحديدة حوالي ألف عامل من عمال الميناء، وظلوا يهتفون بحماس عالٍ "أعطونا أجورنا أو نشكوكم إلى جلالة الإمام".

وظهر السيد يحيى عبدالقادر نائب الحديدة إلى باب قصره لتهدئة العمال المتظاهرين فلم يزدهم مقدمه إلا صياحا وهتافا، وزاد التجمهر المحتشد ولم يتفرق الجمهور إلا بعد أن تقدم إليهم "مقدمهم" يلوح إليهم بالتحويل الذي استلمه لدفع أجور جميع العمال الأسبوعية من المالية وأمين الصندوق.

وقد بلغت حالة التذمر تلك أقصى درجاتها بحدوث حالات فرار جماعية لضباط وجنود الجيش من مواقعهم إلى الجانب الآخر من الحدود مع المحميات وهي الحالات التي عبر عنها ما نشرته (فتاة الجزيرة) بعددها الصادر يوم 23 يناير 1962م والذي قالت فيه تحت عنوان (خمسة ضباط يلجأون إلى الضالع فيطيرون إلى عدن):

هرب خمسة من ضباط الجيش اليمني، أربعة برتبة جاويش وواحد برتبة ملازم ثان، هربوا إلى الضالع من الجيش في تعز عن طريق قعطبة، وهم في ملابسهم العسكرية.

" الحديدة تشهد أولى المظاهرات الاحتجاجية عام 1961م ونائب الامام يرضخ لمطالبها

" فشل الامام في التعاطي مع الوضع في "المحميات" فسقطت من يده ورقة "الجنوب" وانتهت آماله في البقاء على مسرح الأحداث

وقد نقلوا بالطائرة إلى عدن حيث جرى تحقيق معهم استغرق 12 يوما.

وعلمت فتاة الجزيرة أنهم حين علموا بانتقال الجيش إلى حكومة اتحاد إمارات الجنوب العربي قدموا إلى عدن ليتقدموا في طلب وظائف للخدمة في الجيش.

ويرأس الضباط السيد م.س همداني وقد كانوا جميعاً من رجال المدفعية في اليمن، وقد تم تدريبهم على العمل في مدافع الميدان والرشاشات، والمفهوم عنهم أنهم خبراء أذكياء.

وقد سمح لهم بالبقاء في عدن على أن لا يخدموا في الجيش.

كما أعطي لهم مكان مؤقت للإقامة فيه في النادي الأهلي في عدن.

تدهور صحة الإمام

شكلت محاولة اغتيال الإمام أحمد كما أشرنا سابقاً سقوطاً مدوياً لأسطورة "الإمام الذي لا يخترقه الرصاص".. وبالإضافة إلى أثرها ذاك جاءت نتائجها بإصابة الإمام عدة إصابات بالغة لتؤثر مستقبلا على صحته بشكل عام والتي شهدت بفعل تلك الإصابات تراجعا ملحوظا انعكست على ظهوره وأنشطته السياسية والشعبية كما ألقت بظلالها على سلامة اتخاذه للقرارات جراء الأدوية والمسكنات التي أدمن على تعاطيها خلال الفترة التي سبقت وفاته..ونجد مؤشرات هذا الاضطراب في العناوين البارزة التي وضعتها الصحف اليمنية الصادرة في عدن تلك الفترة على صدر صفحاتها الأولى..ومن هذه الصحف صحيفة "الكفاح" بتاريخ 22 ابريل 1961م

والتي حملت عناوينها ما يلي:

- لا جديد على الموقف في اليمن:
- إذاعة صنعاء تتوقف عن الإشارة عن صحة الإمام وتكتفي بقراءة برقيات التهاني
- القصر الملكي في الحديدة لا يصدر بلاغا عن حالة الإمام الصحية
- ماذا يعني هذا التكتم وهذا الصمت وهل هذا في صالح حكومة اليمن؟

وأوردت الصحيفة تحت هذه العناوين مايلي:

انتهت إذاعة صنعاء..بل توقفت إذاعة صنعاء عن ذكر أي خبر يمس صحة الإمام والمعروف أنها كانت في الليلة التي أعقبت الاعتداء على الإمام تتبع عن الزيارات وعن تقدم صحة الإمام ولكنها ومنذ أسبوع توقفت عن ذكر أي شيء يمس هذا الموضوع بل اكتفت بقراءة البروقيات.

ومن ناحية أخرى بقي القصر الملكي في الحديدة صامتا لا ينطق..لا بلاغ عن صحة الإمام إلا الرسالة التي وجهها البدر عقب وصوله إلى اليمن من روما والتي اعترف بها أن الإمام جريح وكانت حكومة اليمن وإذاعة صنعاء تدعي قبل ذلك أن الإمام لم يصب بسوء.

وعلمت "الكفاح" من الأخبار التي تسربت من الحديدة من الأوساط الرسمية أن الإمام ما زال جريحا وأن جراحه لم تندمل بعد وأن الوقت الذي قرر لشفائه وهو عشرين يوما قد مر وينتظر أن يلزم الإمام الفراش.

وعلمت الكفاح أن الإمام ما زال تحت المراقبة الطبية الشديدة وتفيد معلومات أن الأطباء قد منعوا الزيارة للإمام إلا للمقربين من الأهل كما علمت الكفاح أن الأطباء قد نصحوا الإمام بعدم إرهاق نفسه بالحديث مع القلة الذين يزورونه.

ما زال التحقيق في الحادث مجدياً بالنسبة للأفراد الذين قبض عليهم ما عدا اللقية والهندوانة اللذين صدرت عليهما حكم الإعدام.

الفشل والعزلة السياسية

من بين العوامل المهمة التي أدت إلى الانهيار السريع للنظام الإمامي وسقوطه الصادم ليلة 26 سبتمبر 1962م هي حالة العزلة السياسية التي وضع فيها نفسه بسلسلة من الأخطاء في التعاطي مع التطورات الجارية من حوله سواء تجاه المحميات بالجنوب اليمني المحتل أو بتعامله الارتجالي مع الجمهورية العربية المتحدة أو مع القوى العالمية والتوازن الدولي.

فعلى صعيد تعامله مع المحميات في الجنوب المحتل انتهج الإمام سياسات اقتصادية مجحفة أضرت باقتصاد تلك المحميات وبالأخص منها مدينة عدن.

صحيفة "سبأ" الصادرة في تعز بتاريخ 15-7-1961 نشرت بصفحتها الأولى ما وصفته بـ"مرسوم ملكي كريم" جاء في نصه صدور قرار يقضي بوقف استيراد كل أنواع المنتجات الزراعية من عدن بما فيها البهارات.

سقوط ورقة "تحرير الجنوب"

وبلا شك فإن هذه الإجراءات المجحفة التي أضرت باقتصاد المحميات وخصوصا في لحج وأبين قد أذكت كل المشاعر العدائية لدى حكام وسلاطين المحميات تجاه الإمام أحمد وأبيه الإمام يحيى على خلفية ما كانت تعلنه السلطات الإمامية بشأن تلك المحميات بأنها جزء لا يتجزأ من التراب اليمني وأن الدولة "المتوكلية" هي القوة الشرعية الوحيدة التي لها حق الوصاية والولاية عليها.

ليس لنا أن نناقش خطأ السياسة الحادة التي بدت منفرة لسلاطين المحميات المرتبطين بمعاهدات حماية مع الاحتلال البريطاني لكن يكفي أن نستعرض ما أفرزته من تداعيات على الوضع في الجنوب المحتل كان أخطرها اقتناع القوى التقليدية الحاكمة "السلاطين بضرورة بأن خيار تكوين "إتحاد" خاص بها لاستلام السلطة بعد رحيل الانجليز هو الخيار الأنسب لمواجهة ما اعتبروه أطماعاً إمامية في إلحاق دويلاتهم الصغيرة بسلطته وإسقاط عروشهم.

" السخط الشعبي تجاه المظالم والفساد يعصف بالحكم الامامي ويصل ذروته بفرار مجاميع من جيشه إلى عدن عام 62م

وبقراءة سريعة لبعض ما ورد في أحد البيانات التي أصدرها الإمام أحمد في هذا الشأن وننقلها عن صحيفة سبأ الصادرة بتاريخ 23 أغسطس 1962م كالتالي:

اليمن وبريطانيا

بيان من حكومة صاحب الجلالة ملك المملكة المتوكلية اليمنية الإمام الناصر للدين أحمد بن يحيى ايده الله.

لقد اسمعت حكومة صاحب الجلالة الإمام أحمد ملك المملكة المتوكلية اليمنية إلى الخبر الذي اذاعته محطة لندن حول ما توصل إليه المؤتمرون بها من قرار يقضي بإدماج عدن التي يطلق عليها لقب المستعمرة في ما يسمى باتحاد جنوب البلاد العربية على اسس دعمت مركز الحكومة البريطانية في المنطقة مكانتها.

وحكومة صاحب الجلالة ترى أن المحادثات التي أجريت بلندن بين أشخاص ليس لهم من الصفة القانونية أو الحق المشروع ما يخولهم البت في مصير المنطقة.

أن إصرار الحكومة البريطانية على تدعيم خطواتها الرامية أن تحقيق التقسيم لجزئي اليمن شماله وجنوبه يتنافى وتعهدات الحكومة البريطانية في معاهدة 1934م.

إن الوضع الطبيعي لهذه المناطق هو انها تشكل جزءا لا يتجزأ من اليمن.

أن حكومة صاحب الجلالة الإمام تؤكد ما أعلنته عند بدء المحادثات من أنها متمسكة بكامل حقوقها في المنطقة لسماء عدن والمحميات وانها لا تستطيع امام التزاماتها الوطنية وحقوقها المشروعة ان تتخلى عن تلك المناطق بأي حال من الأحوال.

19 ربيع أول 1382 الموافق 19 أغسطس سنة 1962م.

بهذه القراءة نكتشف مدى العقم السياسي الذي اتسم به موقف الإمام وعجزه عن تحقيق الوحدة اليمنية واستحالة أن تتحقق تلك الوحدة في ظل وجود السلطة الإمامية بشمال البلاد.

والحقيقة أن هذا الفشل والعجز وتلك الرؤية القائمة لمستقبل اليمن قد حمل معه للثوار دافعا جديدا للإطاحة بعرش الإمام الذي فقد الكثير من أسهمه ومبررات بقائه بسقوط ورقة "تحرير الجنوب" من يده مع بدء مفاوضات لندن لتشكيل "اتحاد الجنوب العربي".

وقد كان للبيان الذي أصدره الإمام بشأن تلك المفاوضات أن يوصل الجميع داخل وخارج اليمن بما فيهم المتعاطفين مع الإمام إلى قناعة تامة بخطورة ما يجري في المحميات وأن الوضع في شمال اليمن بات يقتضي تغييرا حقيقيا لا يقتصر على استبدال إمام بإمام آخر بل ينطلق إلى تغيير جوهر النظام والقاعدة التي يستمد منها شرعيته.

يتبع

المنشورات السرية.. وريقات صفراء أوصلت للشعب نداء التغيير

بضع وريقات صفراء اللون محفوظة بالمركز الوطني للوثائق هي كل ما تبقى لنا اليوم من آلاف المنشورات التحريضية التي كان شباب الثورة وطلاب المدارس يقومون بتوزيعها سراً خلال الشهور الأخيرة من حكم الإمامة في صنعاء وتعز وإب بهدف تحريض الناس ودفعهم إلى الوقوف في صف الحركة الوطنية وتبني مطالبها بالتغيير وإزالة النظام الملكي الذي جثم على صدر شعبنا لمئات السنين.

وبلا شك فإن هذه المنشورات السرية التي لعبت دورا كبيرا في التمهيد لنجاح الثورة قد شكلت حينها أقوى أسلحة الإعلام المتوفرة لدى الحركة الوطنية مضافا إليها الحيز اليومي الذي كانت توفره إذاعة صوت العرب من القاهرة لرواد الحركة وفي مقدمتهم الشهيد محمد محمود الزبيري ورفيقه أحمد محمد النعمان لبث البرنامج التحريضية المناهضة لحكم الإمامة.

لذلك فقد كانت المنشورات السرية تشكل همًّا مؤرقاً لأجهزة السلطة المكلفة بقمع حركة الاحتجاجات والمظاهرات الطلابية والشعبية التي اندلعت في صنعاء وتعز منذ العام 61 واستمرت لتبلغ ذروتها في العام 62م بينما ظل الإمام نفسه وولي عهده البدر ينظر إليها باستهزاء ويصفها بـ"الزنقلة" أمام وسائل النشر التابعة للإمام والمقتصرة على صحيفة النصر فقد تجاهلت تلك المنشورات تماما..

ولم تتطرق إليها من قريب أو بعيد مكتفية بالإشارة ضمنيا في خطابها المضاد للحركة الوطنية والمؤازر بطبيعة الحال للنظام الذي يقوم بإصدارها صحيفة سبأ الصادرة بتعز والتي كانت من طرف خفي تقف بصف الحركة الوطنية هي الصحيفة الوحيدة التي أشارت إلى تلك المنشورات بطريقة متهكمة تحاول التهوين من خطرها والتقليل من حجم تأثيرها على تفكير الجماهير ووعيهم خصوصا طلاب المدارس الثانوية في المدن الرئيسية.

فنجد صحيفة سبأ في عددها الصادر يوم 15 يونيو 1961م تنشر فقرة موجهة تهاجم فيها هذه المنشورات ومن يقومون بتوزيعها ..

وجاء في الفقرة تحت عنوان (الوريقات الصفراء) مايلي:

وقع بأيدينا ورقة من الوريقات الصفراء التي طبعت بمطبعة الأطفال بعدن والذين يودفون بأصحابهم وهم من وراء الستار.

وهذه الوريقات تحثهم على الأخذ بالثار لأصحابهم ورجالهم ووالخ.

ونحن نقول لهؤلاء الكتاب الأطفال فإن كانوا شجعاناً فليتقدموا هم بأنفسهم ويجربوا حظوظهم وشجاعتهم ولا يودّفوا بغيرهم من الأطفال والمغفلين الذين يصدقون تشدقهم في أوراقهم التي يرمون بها بأزقة ومزابل تعز.

وبطبيعة الحال لم تكن هناك مطبعة أسمها مطبعة "الأطفال" بعدن"..وإنما جاءت الإشارة من الصحيفة لتلك المنشورات على سبيل التهكم وترديد المصطلحات التي كان يطلقها الإمام على معارضيه حيث كان يصفهم بـ"الأطفال" وتارة بالزناقلة وأخرى "الفضول".

خلال لقاء أجريناه قبل سنوات مع أحد المناضلين الذين شاركوا في توزيع تلك المنشورات أشار إلى أن السفارة المصرية بصنعاء "سفارة الجمهورية العربية المتحدة" كانت هي المصدر الذي يتلقى منه المناضلون كمية المنشورات ليلة توزيعها بصورة سرية وعبر حيل متعددة بإخفائها في صفائح المخلفات..وغير ذلك.

وحتى تلك المنشورات التي حملت أسماء وجهات كانت أحزاب وجهات وأسماء وهمية ربما كانت لكسب الشارع الثوري وجعل من يقوم بمراقبة مصدر هذه المنشورات يتيهون ولا يعرفون من أين تأتي.

بينما تؤكد شهادات أخرى أن المنشورات كانت تصل تباعا من عدن ويتم تهريبها في حقائب المسافرين أو برشوة القائمين على حراسة المنفذ الحدودي بين تعز وعدن.

وأيا كانت أماكن طباعة المنشورات السرية فقد كان مصدرها والأقلام التي كتبتها هي أقلام المناضلين الرواد للحركة الوطنية وفي مقدمتهم الزبيري والنعمان حيث نرى في حروفها وكلماتها غلبة الطابع الأدبي الحماسي الممتلئ بالصور البلاغية البديعة والتي لا تخرج إلا من مشكاة شاعر عظيم تمرس قلمه وإبداعه على مقارعة حجج الإمام الذي سام شعبه التخلف والجهل للإبقاء على عرشه.